

تأليف

الشيخ الإمام العالم الأوحد شيخ الإسلام

أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي

(٥١٠ - ٥٩٧)

المجلد الأول

وثق أصوله وخرج حديثه وعلق عليه

الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون



٢٠٠٤ م - ١٤٢٥ هـ

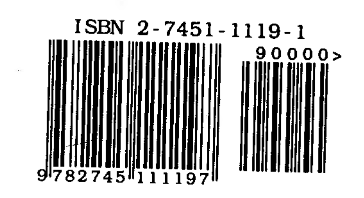
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-1119-1



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم
التقدمة وترجمة المصنف

الحمد لله رب العالمين، والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد، خاتم النبيين وأشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه، ومن تبع سنته بإحسان الى يوم الدين.

ألفاظ النبوة صادرة من قلب متصل بجلال الألوهية، صقلها الوحي بحقائقه، والقرآن بإعجازه، فجاءت مُحْكمةَ الفصول، محذوفة الفضول، فليس فيها عروة مفصولة، ولا كلمة مفضولة، إن خرجت بالتعليم كانت وحياً ملهماً من الله ، وان نطقت بالموعظة جاءت بها سهلة هينة تمر إلى القلوب في نضارة وإشراق، وإن راعت بالحكمة كانت سمواً بالبشرية إلى آفاق الملائكة، وهي في هذا وذاك تجيء بالفصيح والغريب، فترى من غرابته أنه مجاز في حقيقة، وإن أخذ أبلغ الناس في ناصيته لم يبلغ ناحيته، وإن جرى في معارضته ارتد حسيرا مقصرا.

وكانت فصاحته ﷺ في قومه الذين حذقوا اللغة، وهذبوا الكلام، وبالغوا في إحكامه وتجويده شعراً ونثراً، خذ ما شئت من بلاغة وخطابة، ومعاني وبديع، ومعلقات أفنوا السنين في صياغتها وإحكامها، كان ذلك منهم عن نظرٍ متقدم، وصنعة بالغة، وسليقة طبعية نشأوا عليها، ومع

ذلك كانوا لا يسلمون من الاضطراب والزلل، فكانوا يردون على بعضهم، وينقدون بعضهم بعضاً.

بيد أن رسول رسول الله ﷺ كان أفصح العرب، فيقول القول دون تصنع ولا تقليد، ولا يتكلف المعنى أو يقصد التزيين، ثم نرى كلامه نتاج الحكمة، وغاية العقل، بليغاً سديداً.

قال الجاحظ في وصف كلامه ﷺ: « هو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف، استعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي فلم ينطق عن ميراث حكمة، ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصمة، وشد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الافهام وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع الى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير، ولا يلتمس اسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج (الظفر) الا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطيء ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أصدق لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ ». أ. هـ.

ووصف كلامه ﷺ أديب العربية والاسلام. مصطفى صادق الرافعي، فقال: فهو كلام كلما زدته فكراً، زادك معنى، وتفسيره قريب، قريب كالروح في جسمها البشري، ولكنه بعيد كالروح في سرها الإلهي، فهو معك أينما كنت معه ان وقفت على حد وقف وان مددت مد، وما اديت به تأدى، وليس

فيـه شي مما تـراه لكل بلغـاء الدنيـا من صناعـة عبث القول، وطـريقه تـأليف الكـلام، واستخراج وضـع من وضع، والقيـام على الكلمـة حتى تبيض كلمـة أخرى، والرغبة في تكثير سواد المعاني، وترك اللسان يـطيش طيشه اللغـوي، يتعلق بكل ما عرض له، ويحذو الكلام على معاني ألفاظـه، ويجتلب له منهـا ويستكـرهها على أغراضه، ويـطلب لصناعتـه من حيث أدرك وعجز ومن حيث كان ولم يكن، إنما هو كلام قيل لتصير به المعاني الى حقائقها، فهو من لسان وراءه قلب، وراءه نور، وراءه الله جل جلاله، وهو كلام في مجموعه كأنه دنيا أصدرها ﷺ عن نفسه العظيمة، لا تبرح ماضية في طـريقها السـوي على دين الفطرة، فلا تتسع لخلاف، ولا يقع بها التنافر؛ والخلاف والتنافر انما يكـونان من الحيوانية المختلفـة بطبيعتهـا لقيامهـا على قانـون التنازع تعـدو به وتجتـرم وتأثم فهي نازلة الى الشر، والشر بعضه أسفل من بعض، أما روحـانية الفـطرة فمتسقة بطبيعتها لا تقبل في ذاتها افتراقا ولا اختلافـا، اذ كان أولهـا العلو فوق الذاتية، وقانونها التعاون على البر والتقوى، فهي صـاعدة إلى الخيـر، والخير بعضـه أعلى من بعض، فكـلامـه ﷺ يجـرى مجـرى عمله: كله دين وتقـوى وتعليم، وكله روحانية وقوة وحياة، وانه يخيل إليّ وقـد أُخذت بـطهره وجمـاله أن من الفن العجيب أن يكون هذا الكلام صلاة وصياماً في الألفاظ». أ . هـ .

وقـد نشأ النبيّ ﷺ في أفصـح القبائـل وأخلصها منـطقاً، فقـال ﷺ: «أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد».

وجاء في صفته ﷺ من حديث هند بن أبي هالة التميمي، وكان وصَّافاً، وهو ربيب النبي ﷺ، أمه خديجة زوج النبي ﷺ: «كان رسول الله ﷺ فَخْمـاً مُفَخَّماً، يتلألأ وجهه تَلألؤَ القمر ليلةَ البَدر، أطولَ من المَرْبُوع، وأقصرَ من المُشَذَّب، عظيمَ الهامةِ، رَجِلَ الشعر، إن انفرقَتْ عقيصتـه فَرَق، وإلا فـلا يُجاوِزُ شعـرهُ شَحْمَةَ أُذنه إذا هو وفَّره، أَزْهَر اللون، واسعَ الجبين، أَزَجَّ الحـواجبِ، سَوَابـغ في غير قَرَنٍ، بينها عِرْق يُـدِرّهُ الغضبُ، أقنى العِرْنِين، لـه نورٌ يعلوه، يحسبـه

من لم يتأمله أشمَّ. كَثُّ اللحية، سهلَ الخدّين، ضَلِيعَ الفم، أَشنب، ، مُفَلَّجَ الأسنان، دقيقَ المَسْرُبَة، كأَنَّ عنقَه جِيدُ دُمْيةٍ، في صفاءِ الفضَّةِ، معتدل الخلقة بادنٌ متماسك سوِيَّ البطن والصدر، عريضَ الصدر، بعيدَ ما بين المنكبَيْن، ضَخْمَ الكَرَادِيس، أنور المُتَجَرَّدِ، مَوْصُولَ ما بين اللَّبَّة والسّرة بشعر يجرى كالخطِّ، عاريَ الثَّدْيين والبطن مِمَّا سِوَى ذلك، أَشْعَر الذِّراعين والمنكبين وأعالى الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة . . .

قلت: صف لي منطقه.

قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة ليس له راحة، لا يتكلم في غير حاجة طويل السكتة يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، فصل: لا فضول ولا تقصير، دمث: ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وان دقت، لا يذم منها شيئاً، لا يقوم لغضبه اذا تعرض الحق شيء حتى ينتصف له. . . » الخ وصفه الشريف كما ورد في دلائل النبوة للبيهقي.

هذا هو الإنسان الكامل الذي جمع ما بين الأرض وسمائها ، فهو في صلته بالسماء كأنه ملك، وفي صلته بالأرض كأنه فلك، وهذا كلامه النبويّ تجده قصدا محكما يشد بعضه بعضا، ولقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله! لقد طفتُ في العرب، وسمعت فصائحهم فما سمعت أفصح منك: فمن أدبك؟. فقال ﷺ: « أدبني ربي فأحسن تأديبي » .

وأما ما جاء في وصفه بأنه كان ضليع الفم يفتح الكلام ويختمه بأشداقه فلقد كانت العرب تتمادح بذلك، حيث أن هذا يحكم ضبط أداء الكلمات، وقد قالت عائشة: « ما كان رسول الله ﷺ يسرد الكلام كسردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بَيِّنٍ فَصِلٍ ، يحفظه من جلس إليه » .

روى الأصمعي وابن الأعرابي أن رسول الله ﷺ قال: « إنا معشر الأنبياء

بكاء ». فقال ناسٌ: البكوء: القلة، فقد جعل صفة الأنبياء قلة الكلام، ولم يجعله من ايثار الصمت ومن التحصيل وقلة الفضول: قلنا ليس في ظاهر هذا الكلام دليل على أن القلة من عجز في الخلقة، وقد يحتمل ظاهر الكلام الوجهين جميعاً، وقد يكون القليل من اللفظ يأتي على الكثير من المعاني، والقلة تكون على وجهين: أحدهما من جهة التحصيل والاشفاق من التكلف؛ وعلى البعد من الصنعة، ومن شدة المحاسبة وحصر النفس، حتى يصير بالتمرين والتوطين إلى عادة تناسب الطبيعة وتكون من جهة العجز ونقصان الآلة، وقلة الخواطر وسوء الاهتداء إلى جياد المعاني والجهل بمحاسن الألفاظ، ألا ترى أن الله قد استجاب لموسى عليه السلام حين قال: « رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي، أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً، انك كنت بنا بصيراً، قال قد أوتيت سؤالك يا موسى ولقد مننا عليك مرة أخرى » .

تأثيره ﷺ في اللغة

إن للنبي ﷺ أحاديث من جوامع الكلم، وأحاديث ذهبت أمثالا منها قوله ﷺ في الحرب: «حَمِيَ الوطيس»، وكقوله: « مات حتف أنفه »، وقوله: « إياك والمخيلة ».

وقال النبي ﷺ فيما أدب أمته وحضها عليه من مكارم الأخلاق وجميل المعاشرة وإصلاح ذات البين وصلة الأرحام: «أوصاني ربي بتسع (وأنا) أوصيكم بها: أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأن أعفو، عمن ظلمني وأعطي من حرمني، وأصل من قطعني، وأن يكون صمتي فكراً، ونطقي ذكراً، ونظري عبراً » .

وقال ﷺ« نهيتكم عن قيل وقال و إضاعة المال وكثرة السؤال».

وقال ﷺ : « ما قل وكفى خير مما كثر وألهى » . .

وقال ﷺ : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم » .

وقال ﷺ : « اليد العليا خير من اليد السفلى » .

وقال ﷺ : « المرء كثير بأخيه » .

وقال ﷺ : « يقول ابن آدم مالي مالي ، وان مالَهُ من مالِهِ ما أكل فأفْنىٰ ، أو لبس فأبلى ، أو وهب فأمضى » .

وقال ﷺ : « ستحرصون على الإمارة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة » .

وقال ﷺ : « رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم » .

وقال ﷺ : « خير المال سكة مأبورة، ومهرة مأمورة، وخير المال عين ساهرة لعين نائمة » .

وقال ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » .

وقال ﷺ : « الدين النصيحة » .

وقال ﷺ : « الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ، وبينهما أمور مشتبهات » .

وقال ﷺ : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

وقال ﷺ : « آفة العلم النسيان » .

وقال ﷺ : « الصبر عند الصدمة الأولى » .

وللرسول ﷺ أمثال، اجتمع لها الحكمة والبيان منها:

« مثل المؤمن كالخامة من الزرع ، يقلبها الريح مرة كذا ومرة كذا، ومثل الكافر مثل الأَرَزَة المجذية على الأرض حتى يكون انجعافها بمرة » .

« لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ».

« الحرب خدعة ».

وله ﷺ حكم وأقوال فرائد كثيرة، ولكن لم نذهب لاستقصائها وانما ذهبنا أن نكتفى بالبعض ونستدل بالقليل على الكثير.

فإذا انتقلنا إلى تلك الأحاديث التي اشتملت على ألفاظ غريبة كالتي شرحها المصنف في الكتاب، لوجدنا أنها لم تكن متكلفة ولا ترامى اليها البحث والتفتيش وإنما جرت منه ﷺ مجرى غيرها مما قذفه الطبع المتمكن، وألفته السليقة الواعية وهي قوة فطرية تتميز بالإلهام عن سائر العرب على النحو الذي اختصت به ذاته الشريفة.

معنى الغريب

الغريب من الكلام هو الغامض البعيد من الفهم كالغريب من الناس، ومنه قولك للرجل اذا نحيته أو أقصيته: اغرب عني أي ابعد، والغريب من الكلام على نوعين: أحدهما أن يراد به غريب المعنى غامضه، لا يتناوله الفهم الا عن بعد ومعاناة فكر، والنوع الآخر أن يراد به الشواذ من لغات قبائل العرب، والذين إذا وقعت الينا الكلمة من لغاتهم استغربناها، وإنما هي كلام القوم وبيانهم.

قال أبو زيد: قلت لأعرابي: ما المُحْنَبْطِيء؟ قال: المتكأكىء. قلت: ما المتكأكىء؟ قال: المتآزف. قلت: ما المتآزف؟ قال: اذهب أنت أحمق.

قال ابن الصلاح في المقدمة: معرفة غريب الحديث فن فهم يقبح جهله بأهل الحديث خاصة ثم بأهل العلم عامة، والخوض فيه ليس بالهين، والخائض فيه جدير بالتحري وجدير بالتوقي.

سئل أحمد بن حنبل عن حرف من غريب الحديث فقال: سلوا أصحاب

الغريب فإني أكره أن أتكلم في قول رسول الله ﷺ بالظن فأخطىء .

وقد ساق ابن الصلاح نموذجاً من خطأ مفسري الحديث في تفسير كلمة (الدُّخ) فقال: هذا خفي معناه وأعضل، وفسره قوم بما لا يصح . وفي معرفة علوم الحديث للحاكم أنه الدَّخ بمعنى الذَّخ الذي هو الجماع، وهذا تخليط فاحش يغيظ العالم المؤمن، وإنما معنى الحديث أن النبيَّ ﷺ قال له: «قد أضمرت لك ضميراً فما هو؟» قال: الدخ، بضم الدال. يعني الدخان. والدخ هو الدخان في لغة إذ في بعض روايات الحديث ما نصه: « ثم قال رسول الله ﷺ. انى قد خبأت لك خبيئاً، وخبأ له ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾، فقال ابن صياد: هو الدُّخ، فقال رسول الله ﷺ اخسأ فلن تعدو قدرك».

وهذا ثابت صحيح خرجه الترمذي وغيره فأدرك ابن صياد من ذلك هذه الكلمة فحسب، على عادة الكهان في اختطاف بعض الشيء من الشياطين، من غير وقوف على تمام البيان، ولهذا قال له ﷺ: « إخسأ فلن تعدو قدرك » أي فلا مزيد لك على قدر إدراك الكهان .

ولقد درج الصدر الأول على النطق الصحيح ولزوم الاعراب، وانكروا اللحن وعابوه على أهله فقد ذكر أن عمر بن الخطاب أتى على قوم يرمون رِشْقاً لهم، فأساءوا الرمي، فقالوا: يا أمير المؤمنين، نحن قوم متعلمين! فقال عمر: لإساءَتُكُم من لحنكم شر من إساءتكم في رشقكم أو رميكم، رحم الله امرءاً أصلح من لسانه .

قال الخطابي: قيل للحسن: إن لنا إماماً يلحن، فقال: أخروه. وروى الخطابي عن الأصمعي قال: قال لشعبة: إني وصفتك لحماد بن سلمة وهو يحب أن يراك، قال: فوعدته يوما فذهب معه إليه فسلمت عليه، فحيا ورحب، فقال له شعبة: يا أبا سلمة، هذا ذاك الفتى الأصمعي الذى ذكرته لك، قال فحياني بعد وقرب، ثم قال لي: كيف تنشد هذا البيت:

أولئك قومٌ ان بَنَوْا أَحْسَنُوا. . . . فقلت:

أولئك قومٌ ان بَنَوْا أَحْسَنُوا البِنَا   وان عاهَدُوا أوفَوْا وان عَقَدوا شَدُّوا

يعنى بكسر الباء، فقال لي أنظر جيداً، فنظرت فقلت: لست أعرف إلا هذا فقال: يا بني، أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البُنَا (بضم الباء) القوم انما بنوا المكارم، ولم يبنوا باللبن والطين، قال: فلم أزل هائباً لحماد بن سلمة ولزمته بعد ذلك. وقد ساق ابن عبد ربه نماذج من اللحن في كتابه العقد الفريد لا بأس أن نسوق بعضها:

أبو عُبَيدة قال: مَرَّ الشّعبيُّ بقَوْم من المَوالي يَتذاكرون النحوَ، فقال لهم: لئن أَصْلحتموه إنكم لأوَّل من أفسده.

قال أبو عُبيدة: ليته سَمِع لحنَ صَفْوان وخالد بن صَفْوان وخاقان والفتح ابن خاقان والوليدِ بن عبد الملك.

وقال عبد الملك بن مروان: اللحنُ في الكلام أقبح من التَّفتيق في الثوب والجُدَريّ في الوجه.

وقيل له: لقد عَجِل عليك الشيبُ يا أميرَ المؤمنين، قال: شَيَّبني ارتقاءُ المنابر وتوقع اللحن.

وقال الحجَّاج لابن يَعْمَر: أَتَسمعني أَلحن؟ قال: لا، إلاّ أنه ربما سَبَقكَ لسانُك ببعضه في آن وآن؛ قال: فإذا كان ذلك فعَرِّفني.

وقال المأمون لأبي عليّ المعروف بأبي يَعْلى المِنْقريّ: بلغني أنك أُمِّيّ، وأنك لا تُقيم الشِّعر، وأنك تَلْحن في كلامك؛ فقال يا أميرَ المؤمنين، أمّا اللَّحن فربما سَبَقني لساني بالشيء منه، وأما الأمِّيَّة وكَسْر الشعر فقد كان النبيّ ﷺ أُميّا وكان لا يُنشد الشعر، قال المأمون: سألتُك عن ثلاثة عيوب فيك

فزدْتنى عَيباً رابعاً، وهو الجهل، يا جاهل، إنّ ذلك في النبيّ ﷺ فضيلة، وفيك وفي أمثالك نَقيصة، وإنما مُنع ذلك النبيّ ﷺ لنَفْي الظِّنَّة عنه، لا لِعَيب في الشِّعر والكتاب، وقد قال تبارك وتعالى: ﴿وما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إذاً لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

وقال عبدُ الملك بن مروان: الإعراب جمالٌ للوَضِيع، واللحن هُجْنة على الشَّريف.

وقال: تَعلَّموا النحوَ كما تتعلّمون السُّنن والفرائض.

وقال رجلٌ للحسن: إنَّ لنا إماماً يلحن؛ قال: أَمِيطوه [عنكم، فإن الإعراب حِلْية الكلام].

وقال الشاعر:

النَّحوُ يَبْسُط من لسان الأَلْكن ... والمرءُ تُكْرمه إذا لم يَلْحَنِ
فإذا طلبتَ من العُلوم أَجلَّها ... فأَجلُّها منها مُقِيم الألسن

وقال آخر:

النَّحو صَعْب وطويلٌ سُلَّمه ... إذا ارتقى فيه الذي لا يَعْلَمُهْ
زَلَّتْ به إلى الحَضِيض قَدَمُه ... يُريدُ أن يُعْربه فَيُعْجِمه

وقال رجل للحسن: يا أبو سَعِيد؛ فقال: أَحْسَبُ أنّ الدَّرانِق شَغَلْتك عن أن تقول: يا أبا سعيد.

وكان عمرُ بنُ عبد العزيز جالساً عند الوليد بن عبد الملك، وكان الوليد لَحّاناً، فقال: يا غلام، ادعُ لي صالح؛ فقال الغلام: يا صالحا؛ قال له الوليد: انقُص ألفاً؛ فقال عمر: وأنت يا أميرَ المؤمنين فزِدْ ألفاً.

ودخل على الوليد بن عبد الملك رجلٌ من أشراف قُريش، فقال له

الوليد: من خَتَنَك؟ قال لـه: فلانٌ اليهودي؛ فقال: مـا تقول؟ ويحـك! قال: لعلّك إنما تَسْأل عن خَتَني يا أمير المؤمنين، هو فلان بن فلان.

وقـال عبدُ الملك بن مـروان: أَضرّ بنـا في الوليـد حُبُّنا لـه، فلم نُلْزمـه البـادية. وقـد يَستثقل الإعـرابُ فى بعض المـواضـع كمـا يستخفّ اللحنُ في بعضها.

وقال مالك بن أسماء بن خارجة الفَزاريّ:

مـنـطقٌ بـارعٌ وتَـلحـنُ أحـيـا نـاً وخيـرُ الحـديث مـا كـان لحنا

وذلك أنه من حَكى نـادرةً مُضحكة، وأراد أن يُوفِّي حروفَهـا حظَّهـا من الإعراب، طَمس حُسنها، وأَخرجها عن مِقدارها، أَلَا تـرى أن مُزَبِّـدا المَدِينيّ أكل طَعاماً فكظَّه، فقيل له: ألا تَقِى؟ قـال: وما أقي؟ خبز نقي ولحم طَرِي؟ مَرَتي طالق، لو وَجدت هذا قيئاً لأكلته.

قال: وكذلك يُستقبح الإعـراب في غير مـوضعه كمـا استُقبح من عيسى ابن عمرإذ قال وابن هُبيرة يَضربه بالسِّياط: والله إن كانت إلا أُثَيَّابا فى أُسَيْفـاط قَبضها عَشَّاروك.

وحُكي عن بعض المُغربين فى اللَّحن أن جارية له غنّته:

إذا مـا سَمعتُ اللومَ فيهـا رفضتُـه فَيَدْخل من أُذْنٍ و يَخـرج مِن أُخرَى

فقال لها: مَن أُخِري يا فاعلة، أما علّمتك أن (من) تَخفض؟.

وقال رجل لشُرَيح: ما تقول فى رجل تُوفي وترك أباه وأخيـه؟ فقال لـه: أباه وأخاه؛ فقـال: كم لأباه وأخاه؟ قال لأبيـه وأخيه؛ قـال: أنت علّمتني فما أصْنَع؟.

مـا السبب فى نشوء كـل هذا اللحن في اللغـة العربيـة؟ يستعـرض ابن

الأثير نزول القرآن بلسان عربي مبين، فلم يجد هؤلاء الذين نزل فيهم في فهمه شيئا من عناء، ولم يكابدوا في تعرف مراميه أيّ مشقة، لنقاء ألسنتهم، وسلامة سلائقهم، وغلبة الفصاحة عليهم، وان جهلوا منه شيئا سألوا عنه رسول الله ﷺ وهو بين ظهرانيهم.

واستمر عصره ﷺ إلى حين وفاته على هذا السَّنَن المستقيم، وجاء العصر الثاني وهو عصر الصحابة جارياً على هذا النمط سالكاً هذا المنهج، فكان اللسان العربي عندهم صحيحاً محروساً لا يتداخله الخلل، ولا يتطرق اليه الزلل، الى أن فتحت الأمصار، وخالط العرب غير جنسهم من الروم والفرس والحبش والنبط وغيرهم من أنواع الأمم الذين فتح الله على المسلمين بلادهم، فاختلطت الفرق، وامتزجت الألسن، وتداخلت اللغات.

وكلما جاء جيل يقل عدد المتقنين، فما انقضى زمن التابعين الا واللساني العربي قد استحال اعجمياً أو كاد، ولا ترى المحافظ عليه الا الآحاد.

وعلى المدى الطويل كان علماء اللغة ساهرين على حراستها، يشتدون في رقابتها على الأقلام وعلى الألسن بعد اتساع الخرق على على الراقع، ونشط علماء اللغة في رقابتهم الصارمة التى ازدادت حدة مع الأيام وأصبحنا نرى كتبا من عصر التدوين، وفيها مآخذ علماء اللغة التي سجلوها على اقلام الخاصة وألسنتهم.

من هذه المصنفات:

* الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني .

* تهذيب اللغة للأزهري.

* تهذيب الأسماء واللغات للنووي.

* إصلاح غلط المحدثين للخطابي.

* تصحيح التصحيف وتحرير التحريف للصفدي .

* تصحيفات المحدثين للعسكري .

* التنبيه على حدوث التصحيف للأصفهاني .

فإذا انتقلنا إلى شرح غريب الحديث وهو العلم الضروري لضبط اللغة كما أسلفنا، لوجدنا أن العلماء قد شرعوا في مرحلة متقدمة يؤلفون الكتب حول هذا العلم وذلك من ابتداء القرن الثاني الهجري، وعلى قول ابن النديم الذي ذكر أوائل المؤلفين الذين ألفوا حول غريب الحديث قبيل أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي :

١ ـ النضر بن شميل (م ـ ٢٠٣ هـ) .

٢ ـ قطرب (م ـ ٢٠٦ هـ)، وسمى كتابه : غريب الآثار.

٣ ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري (م ـ ٢١٠ هـ)، جمع كتابا صغيراً ولم تكن قلته لجهله بغيره وانما ذلك لأمرين : أحدهما : ان كل مبتدىء بشيء لم يسبق اليه يكون قليلاً ثم يكثر، والثاني : أن الناس كان فيهم يومئذ بقية من معرفة، فلم يكن الجهل قد عم .

٤ ـ أبو زيد (م ـ ٢١٥ هـ).

٥ ـ عبد الملك بن قريب الأصمعي (م ـ ٢١٦ هـ)، وجمع كتاباً أحسن فيه وأجاد.

٦ ـ أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (م ـ ٢٢٤ هـ)، وكتابه جمعه في أربعين سنة ووضع فيه خلاصة عمره، وبقي كتابه في أيدي الناس يرجعون إليه في غريب الحديث الى عصر ابن قتيبة الدينوري .

٧ ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري : صنف كتابه المشهور، وحذا فيه حذو أبي عبيد فجاء كتابه مثل كتابه أو أكبر منه، وقال في

مقدمته: أرجو ألا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال.

٨ ـ ابراهيم بن اسحاق الحربي الحافظ (م ـ ٢٨٥ هـ)، وجمع كتابه وهو كبير في خمس مجلدات بسط القول فيه، واستقصى الأحاديث بطرق أسانيدها وأطاله بذكر متونها وإن لم يكن فيها إلا كلمة واحدة غريبة، فطال لذلك كتابه فترك وهجر وان كان كثير الفوائد.

٩ ـ ثم صنف شمر بن حمدويه في غريب الحديث، وكتابه مشهور كان متداولا بين أيدي العلماء.

١٠ ـ أبو العباس احمد بن يحيى المعروف بثعلب (م ـ ٢٩١ هـ).

١١ ـ محمد بن يزيد الثمالي المعروف بالمبرد (م ـ ٢٨٥ هـ).

١٢ ـ أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (م ـ ٣٢٨ هـ).

١٣ ـ أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد (م ـ ٣٤٥ هـ)، ألف غريب الحديث على مسند أحمد بن حنبل.

١٤ ـ قال في «كشف الظنون» صفحة (١٢٠٥) ثم تتابع التأليف من غير هؤلاء كأبي الحسين عمر بن محمد القاضي (المالكي) المتوفي سنة ٣٢٨ ثمان وعشرين وثلثمائه ولم يتم، وأبي محمد سلمة بن عاصم النحوي وأبي مروان عبد الملك بن حبيب المالكي المتوفى سنة ٢٣٩ تسع وثلاثين ومائتين، وأبي القاسم محمود بن أبي الحسين النيسابوري (الملقب ببيان الحق) وقاسم بن محمد الأنباري المتوفى سنة (٣٠٤) أربع وثلثمائة، وأبي شجاع محمد بن علي بن الدهان البغدادي المتوفى سنة (٥٩٠) تسعين وخمسمائة وهو كبير فى ستة عشر مجلداً وأبي الفتح سليم بن أيوب الرازي المتوفى سنة (٤٤٢) وابن كيسان محمد بن احمد النحوي المتوفى سنة (٢٤٥) وابن درستويه عبد الله بن جعفر النحوي المتوفى سنة (٣٤٧). واسماعيل بن عبد

الغافر راوي صحيح مسلم المتوفى سنة (٤٤٩)، وكتابه جليل الفائدة مجلد مرتب على الحروف.

١٥ ـ واستمرت الحال إلى عهد الإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي المتوفى سنة (٣٨٨)، فألف كتابه المشهور « غريب الحديث » سلك فيه نهج أبي عبيد، وابن قتيبة.

١٦ ـ أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (المتوفى ٤٠١)، وكان في زمن الخطابي، ألف كتابه المشهور في الجمع بين غريبي القرآن والحديث، ورتبه على حروف المعجم، على وضع لم يُسبق فيه، وجمع ما في كتب من تقدمه، فجاء جامعاً في الحسن، إلا أنه مفرقاً في حروف كلماته فانتشر، وصار العمدة.

١٧ ـ الزمخشري: محمود بن عمر، أبو القاسم: صنف الفائق ورتبه على وضع اختاره مقفى على حروف المعجم، ولكن في العثور على طلب الحديث منه كلفة ومشقة، لأنه جمع بين إيراد الحديث مسرودا جميعه أو أكثره ثم شرح ما فيه من غريب، فيجيء شرح بعض الكلمات في غير مواضعها.

١٨ ـ صنف الحافظ أبو موسىٰ محمد بن أبي بكر الأصفهاني كتاباً جمع فيه ما فات الهروي من غريب القرآن والحديث يناسبه قدراً وفائدة ورتبه كترتيب الهروي، وقال: « واعلم أنه سيبقىٰ بعد كتابي أشياء لم تقع لي ولا وقفت عليها لأن كلام العرب لا ينحصر، وتوفي سنة (٥٨١)، وسمى كتابه « المغيث كمل به الغريبين ».

١٩ ـ الشيخ الإمام العالم الأوحد، جمال الدين شيخ الإسلام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ـ مصنف هذا الكتاب ـ « غريب الحديث » على الترتيب الأبجدي، قال في تقدمته للكتاب، مما كان سبباً في إقدامه على تصنيفه:

« أما بعد؛ فإن رسول الله ـ ﷺ، كان عربياً، وكذلك جمهور أصحابه، وتابعيهم، فوقع في كلامهم من اللغة ما كان مشهوراً بينهم، ثم وقعت مخالطة الأعاجم، ففشى اللحن، وجهل جمهور الناس معظم اللغة، فافتقر ذلك الكلام إلى تفسير، وقد كان جمع شيئاً من غريب الحديث: النضر بن شميل،وأبو عبيدة: معمر بن المثنى، والأصمعي، في جماعة كانوا في ذلك الزمان، ثم جاء أبو عبيد: القاسم بن سلاَّم فألَّف ذلك المتفرق، وزاد فيه، وبسط الكتاب حتى ظن أنه لم يبق شي من الغريب، وإذا به قد أخل بأشياء كثيرة ».

« وقال أبو سليمان الخطابي: بلغني أن أبا عبيدة مكث في تصنيف كتابه أربعين سنة يسأل العلماء عما أودعه من تفسير الحديث ».

« وجمع الغريب: إبراهيم الحربي، ثم جمع أبو محمد بن قتيبة ما فات أبا عبيد، وقال: « أرجو أن لا يكون بقي بعد كتاب أبي عبيد وكتابي من الغريب ما فيه مقال ».

« وقويت الظنون بأنه لم يبق شيء، وإذا أشياء قد فاتتهما ألفها سليمان الخطابي، وفاتته أشياء ».

«ثم جمع أبو عبيد الهروي ـ صاحب الغريبين كتاباً أوهم فيه أنه لم يبق شيء ،وإنما اقتصر على ما ذكره الأزهري في كتاب التهذيب، ورأيته قد أخل بأشياء، وذكر أشياء ليست بغريبة فلا تحتاج إلى تفسير ».

ثم قال ابن الجوزي بعد هذه التقدمة معللاً سبب تصنيفه لهذا الكتاب:

« فرأيت أن أبذل الوسع في جمع غريب حديث رسول الله ﷺ وأصحابه، وتابعيهم، وأرجو أن لا يشذ عني مهم من ذلك، وأن يغني كتابي عن جميع ما صنف في ذلك، وقد رتبته على حروف المعجم، وإنما آتي بالمقصود من شرح الكلمة، من غير إيغال في التصريف والاشتقاق، إذ كتب اللغة أولى بذلك، وإنما آثرت هذا الاختصار تلطفاً للحافظ. والله الموفق».

٢٠ ـ ابن الأثير. صنف « النهاية في غريب الحديث » وهو كتاب مشهور.

وقد جاء ـ بعد ذلك ـ من صنف في نفس الموضوع مثل عبد اللطيف موفق الدين بن يوسف البغدادي المتوفى سنة (٦٢٩)، وغيره.

ميزة هذا الكتاب على من سبقه ومن تلاه:

يمتيز غريب الحديث لابن الجوزي بعدة خصائص عمن سبقه في التصنيف في هذا الموضوع، ولعل أهم هذه الخصائص:

أولاً: شمول الكتاب؛ فابن الجوزي كان حافظاً محدثاً واعظاً ملماً بمعرفة شاملة للأحاديث، ضمن غريبها هذا الكتاب.

ثانياً: الاختصار، فهو يورد طرف الغريب، ثم يشرحه في كلمات موجزة توضح المعنىٰ، وتبين الغامض

ثالثاً: في الكتاب زيادات مهمة ليست موجودة في كتب من سبقه كأبي عبيد، والخطابي، والهروي، ولا في كتب من عاصره كابن الأثير.

من هنا جاء كتابه مختصراً شاملاً مفيداً يفي بالغرض دون إخلال بالقصد.

وصف النسخ الخطية:

اعتمدنا في نشر الكتاب على نسختين:

النسخة الأولىٰ:

نسخة نفيسة بخط المصنف، فرغ منها في التاريخ المذكور (سيأتي)، وخطه كبير بَيِّن لكنه قليل الإعجام، وفيه بعض ضبط، والنسخة في سبعة

أجـزاء ضمَّها مجلد واحـد وفي أولها **إجـازة من المؤلف لعلي بن المفضل بن علي المقدسي** .

وتقع في (٢٨٣) لوحة، بكل صفحـة (٢١) سطراً ومقـاسها ١٧,٥ × ٢٦ سم .

وفي صدر اللوحة الأولىٰ جاء ما يلي :

« الجـزء الأول » من « كتـاب غـريب الحـديث » **بخط مصنفــه** « عبـد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الجوزي » نفعه الله بالعمل .

إجازة منه لعلي بن المفضل بن علي المقدسي **وهو كامـل بخط الشيخ الإمام « عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجـوزي الحنبلي » رحمة الله عليه** .

وجاء في آخره :

فرغ مؤلفه من تأليفه في رمضان سنة ست وسبعين [وخمسمائة] فـرغ من هـذه المبيضة يـوم الثلاثـاء ثاني شعبـان سنة إحـدىٰ وثمانين وخمسمـائـة بالمدرسة الشاطبية من باب الأزج حـامداً لله ومصليـا على رسولـه محمد وآلـه أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ثم جاء بخط مغاير لخط النسخة الحاشية التالية :

نقل منه فرعاً الفقير إلى الله تعالىٰ : محمد بن يحيى بن الحسين بن عبد الله بن عثمان باز ياقوت الأكنيدي نفعـه الله به، ثم قابل به فرعه منـه فصحّ إن شـاء الله تعالىٰ وكتب: محمـد بن يحيى بن ياقـوت الأكنيدي المـالكي بخـطه ورمزت لهذه النسخة بالرمز (ط).

النسخة الثانية :

وهي نسخـة مكتبة « فيض الله » وتتكـون من (٣١٠) لـوحـات، وعـدد

أسطر كل صفحة (١٧) سطراً كتبت بخط نسخ عادي، وقد مُيّزت أوائل الأبواب بخط كبير واضح، وقد جُزِّأت إلى جزأين كبيرين، وجاء في أولها :

المجلد الأول من « غريب الحديث » تأليف الشيخ الإمام العالم الأوحد « جمال الدين شيخ الإسلام : أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الجوزي، ويليه في هذا المجلد « السفر الثاني، وبتمامه تم الكتاب » عفا الله تعالىٰ عن مؤلفه آمين .

وجاء على لوحة الكتاب الأولى جانب اسم الكتاب ما يلي :

- من كتب الفقير فيض الله، مفتي السلطنة العثمانية عفى عنه

- الحمد لله مستحق الحمد .

- ملك من فضل الله تعالىٰ بالبيع الصحيح الشرعي فقير رحمة ربه عبد الله بن أحمد بن محمد [ ] الشاذلي، ثم يعقبها تملكات أخرىٰ وأبيات شعر، ثم ختم وقف شيخ الإسلام فيض الله أفندي .

- وفي حاشيته هذه اللوحة جاء « **بلغ مقابلة جيدة ولله تعالىٰ الحمد** »

وجاء في اللوحة (٣١٠) في آخر الكتاب بعد باب الياء مع الهاء ما يلي :

آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولىٰ ونعم النصير .

نقله محمد بن عبد السيد علي بن الدنيوي من خط المصنف وهي النسخة التي اعتمد عليها واختارها وألغى ما سواها وذلك في شهر [ ] من سنة ثمانٍ وتسعين وخمسمائة .

فإذا عُلم أن وفاة ابن الجوزي (٥٩٧) تبين أن النسخة كتبت بعد وفاته مباشرة، أو فُرغَ من كتابتها بعد وفاة المصنف بقليل .

وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز (ف).

* * *

يتضح من هذا نفاسة كلا النسختين وأن الأولىٰ بخط مصنف الكتاب، ونرىٰ خلالها زيادات كان قد وضعها أثناء تبييضها من المسودة، والثانية كتبت في وقت مزامن لأواخر حياته، أو بعيد وفاته بأشهر.

أما خطة العمل بالكتاب فأستطيع أن أوجزها كما يلي :

١ ـ اعتمدت النسختين كلاهما وأثناء النسخ كنت اثبت كل الزيادات والفروق مباشرة، وأشير إلى ذلك في الحواشي.

٢ ـ ضبط النص وتوثيقه وترتيبه.

٣ ـ تخريج الأحاديث من دواوين السنة وردها الى مصادرها.

٤ ـ تخريج الأخبار الواردة فيه من أخبار الصحابة والتابعين.

٥ ـ المقابلة مع نسخ اخرىٰ تحمل نفس العنوان كالفائق للزمخشري، وغريب أبي عبيد القاسم بن سلام، والغريبين للهروي، والنهاية لابن الاثير، ولسان العرب، وتهذيب اللغة للأزهري .

٦ ـ أحياناً أضطر الى نقل الحديث كله في الحاشية حتى يستبين المقصود، ويفهم المعنى . .

٧ ـ إثبات حواشي على هامش الكتاب أبجدية لتيسر الانتفاع منه بسهولة ويُسْر.

٨ ـ عمل فهارس للأحاديث واللغويات ملحق في نهاية الكتاب.

* * *

ترجمة المصنف

هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن جعفر القرشي، التيمي، البكري، البغدادي، الحنبلي، المعروف «بابن الجوزي»، المحدث، الحافظ، المفسر، الفقيه، الواعظ الأديب، المؤرخ، ولد ببغداد سنة (٥١٠) وتوفي بها (٥٩٧).

و «الجوزي» نسبة إلى محلة في البصرة تسمى محلة الجوْز وقيل غير ذلك.

وقد ولد في بغداد في زقاق «درْب حبيب»، واختلف في تاريخ ولادته بين «٥٠٨» و «٥١٢» هـ، وتوفي أبوه وله من العمر ثلاث سنين، فرعته أمه وعمته، وكان أهله تجاراً بالنحاس وهذا يفسر ما يوجد في بعض سماعاته القديمة من لقب «ابن الجوْزي الصفَّار».

وما إن شب وترعرع حتى حملته عمته سنة «٥١٦» هـ. إلى مسجد خاله المحدث اللغوي الفقيه «أبي الفضل محمد بن ناصر البغدادي» المتوفى سنة ٥٥٠ هـ، فاعتنى به عناية فائقة وكان أول معلم له، وقد حفظ في هذه المرحلة القرآن الكريم وسمع الحديث ولا سيما مسند ابن حنبل، وجامع الترمذي، وصحيحيْ البخاري ومسلم، وتعلم اللغة والأدب، ومُرّن على الوعظ، وسمع تاريخ بغداد للخطيب، واستدل عليه ما فاته ذكره في كتاب «فوات تاريخ الخطيب»، كما أنه نظر في جميع الفنون المعروفة في عصره.

ولم يكن خاله وحده أستاذاً له وإنما كان من أساتذته الأديب اللغوي

أبو منصورالجواليقي صاحب كتاب «المعرَّبَ»والمتوفى سنة ٥٤٠ هـ. والمحدّث ابن الطَّبَّرْ الحريري المتوفى سنة ٥٣١ هـ. وغيرهم، والعالم بالقراءات أبو منصور محمد بن خيْرون المتوفى سنة ٥٣٩ هـ وغيرهم حتى بلغ عدد أساتذته وشيوخه سبعة وثمانين.

كما قرأ الفقه والخلاف والجدل والأصول على أبي بكر الدينوري، والقاضي أبي يعلى، وابن منده.

ومن شدة انصرافه لطلب العلم لم يكن في صغره على ما كان عليه لداته من حب اللهو، بل انشغل في حفظ العلم وكتابته انظر اليه يقول في « صيد الخاطر »:

همته في تحصيل العلم:

« كنت في زمان الصّبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيش، فلا أقدر على أكلها إلا عند المساء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعيْن همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم ».

فليس عجيباً أن يجلس للوعظ في بغداد منذ سنة٥٢٧ هـ. وسنه دون العشرين، وما زال يدرس ويعظ ويؤلف حتى أصبح إمام بغداد وواعظها الاول.

وقد برع في عدة علوم، وتبحر في ثقافات عصره، فقد كان إمام وقته في الحديث حتى لقِّب بالحافظ، ونبغ في الوعظ والخطابة، والتأثير في النفوس حتى قال فيه ابن جُبيرْ: « فحدِّث ولا حرج عن البحر، وهيهات، ليس الخَبر عنه كالخُبرْ ».

حضور بديهته :

وكان له في مجالس وعظه بديهة حاضرة وذكاء وقّاد وأجوبة نادرة منها أنه سئل : إن الكوز إذا ملأناه لا يبرد ، فاذا نقص برد؟ فقال : حتى تعلموا أن الهوى لا يدخل إلا على ناقص .

نقل ابن خلكان أن نزاعاً في المفاضلة بين أبي بكر وعلي قد وقع بين أهل السنة والشيعة في عهد ابن الجوزي « فرضيَ الكل بما يجيب به الشيخ ، فأقاموا شخصاً يسأله عن ذلك وسط مجلس وعظه ، فقال :

« أفضلهما من كانت ابنته تحته » .

ونزل في الحال حتى لا يراجع في السؤال ، فقال أهل السنة : « أراد أبا بكر لأن ابنته عائشة تحت النبي ﷺ » وقال الشيعة : « أراد علياً لأن ابنة النبي ﷺ فاطمة كانت تحت علي » .

وعلق ابن خلكان بقوله :

« وهذا من لطائف الأجوبة ولو حصل بعد الفكر التام وإمعان النظر كان في غاية الحسن فضلاً عن البديهة » .

وصف مجالسه :

وقد وصف الرحالة الأندلسي ابن جبير مجلساً من مجالس وعظه حضره عام (٥٨٠) فقال :

« ثم شاهدنا مجلساً ثانياً بكرة الخميس بباب بدر في ساحة قصر الخليفة ومناظره مشرفة عليه ، وهذا الموضع من حرم الخليفة قد خُصَّ ابن الجوزي بالوصول اليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة نفسه ووالدته ومن حضر من الحريم ، ثم يفتح الباب للعامة فيدخلون إلى ذلك

الموضع وقد بسط بالحصر، وجلوس ابن الجوزي بهذا الموضع كل يوم خميس ».

«فبكرنا لمشاهدته، وقعدنا إلى أن وصل هذا الحبر المتكلم فصعد المنبر، وأزاح طيلسانه عن رأسه تواضعاً لحرمة المكان، وقد تسطر قرّاء القرآن أمامه على كراسي موضوعة، فابتدروا القراءة على الترتيب، فشوفوا ما شاؤوا وأطربوا ما أرادوا، وبادرت العيون، بارسال الدموع ».

«فلما فرغوا من القراءة، وقد أحصينا لهم تسع آيات من سُوَرٍ مختلفات، صدع ابن الجوزي بخطبته الزهراء، وأتى بأوائل الآيات في أثنائها منتظمات، ومشى في الخطبةعلى فقرة آخر آية منها في الترتيب إلى أن أكملها، وكانت الآية: ﴿ **الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً، ان الله لذو فضلٍ على الناس**﴾». [غافر - ٦١] .

« فتمادىٰ على هذا السين، وحسَّن أي تحسين، فكان يومه هذا أعجب من أمسه . . . ».

« ثم سلك سبيله في الوعظ، كل ذلك بديهة لاروية ويصل كلامه في ذلك بالآيات التي قرأها القراء من قبل في المجلس، فأرسلت وابلها العيون، وأبدت النفوس سر شوقها المكنون، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين، وبالتوبة معلنين، وطاشت الألباب والعقول، وكثر الوله والذهول، وصارت الناس لا تملك تحصيلاً، ولا تميز معقولاً، ولا تجد للبصر سبيلاً »

« ثم في أثناء مجلسه كان ينشد أشعاراً في النسيب مبرحة التشويق، بديعة الترقيق، تشعل القلوب وجداً، ويعود موضعها الغزلي وجداً، فمن ذلك ما أنشده:

أين فؤادي؟ أذابه الوجد ... وأين قلبي؟ فما صحا بعد
يا سعد زدني جوىٰ بذكرهم ... بالله زدني - فديت - يا سعد

« ولم يزل يردد هذه الأبيات والانفعال قد أثر فيه، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه، إلى أن خاف الإفحام فابتدر القيام، ونزل عن المنبر عجلاً، وقد أطار القلوب وجلاً ، وترك الناس على أحر من الجمر، يشيعونه بالمدامع الحمر، فمن معلنٍ بالانتحاب، ومن متعفر بالتراب، فيا له من مشهد ما أهول مرآه، وما أسعد من رآه ».

« وما كنا نحسب أن متكلماً في الدنيا يعطى من امتلاك النفوس والتلاعب فيها ما أعطي هذا الرجل، فسبحان من يخص بالكلام من يشاء من عباده ». أ . هـ .

مشاركته في علوم التاريخ واللغة أيضاً:

وشارك ابن الجوْزي أيضاً في التاريخ وعلوم اللغة والتفسير والفقه وله في ذلك كله مؤلفات كثيرة.

كما أن له مشاركة في الشعر أيضاً، وذكروا له ديواناً بعنوان: « ما قلته من الأشعار » وأن شعره في عشر مجلدات، ولكن ما وصل إلينا من شعره لا يزيد على مئة البيت إلا قليلا، وتدور حول الفخر والقناعة والزهد، والوعظ، وبعض المناسبات.

ومن شعره قوله يخاطب أهل بغداد:

عذيريَ من فتيةٍ بالعراق — قلوبهمُ بالجفا قُلَّبُ
يروْن العجيب كلام الغريب — وقولُ القريب فلا يُعجب
ميازيبهم إن تندَّت بخيْرٍ — إلى غير جيرانهم تُقْلَب
وعذرهمُ عند توبيخهم: — « مغنية الحي لا تطرب ».

وهو بعد هذا كله أديب رائق العبارة، متفننٌ في طرق الأداء ، قادرٌ على التعبيرات النادرة والتصوير الدقيق في أسلوب مرسل لا يجري وراء حلى الألفاظ ولا ينزل على حكم التكلف مع أنه عاش في القرن السادس الهجري.

هذا وإن الحقيقة لتدعونا إلى أن نذكر أنَّ ابن الجوزي على جلالة قدره لم يَسْلم من الطعن والتجريح، ولعل السبب الرئيسي في ذلك ما كان من غروره وإعجابه بنفسه وهجومه على الناس فكان لا بد أن يكون له خصوم وأعداء، كما اتهمه بعضهم بأنه يروي في وعظه أحاديث غير صحيحة، وأنه كثير الأغلاط في تصانيفه، وعذره في هذا أنه كان مُكْثراً، فيصنف الكتاب ولا ينقحه بل يشتغل بغيره، كما أخذوا عليه ميله إلى التأويل في بعض كلامه واضطراب كلامه في ذلك، فلم يكن خبيراً بحلّ شبهة المتكلمين وبيان فسادها.

كثرة تصانيفه:

ومن يترجم لابن الجوْزي لا بد أن يقف وقفة إجلال واحترام لهذا العالم الذي ملأ الدنيا شهرة بكثرة مؤلفاته التي تناولت جميع علوم عصره وثقافاته أو أكثرها من تاريخ وسِيَر وتراجم وأدب ومواعظ وتفسير وحديث وبلدان وطب وحيوان ونبات وفروسية وأخبار ولغة، وكثرة مؤلفاته حملت الناس على إحصائها، ويروي ابن خلّكان أن الناس يُغالون في ذلك حتى يقولوا إنه جمعت الكراريس التي كتبها، وحسبت مدة عمره، وقسمت الكراريس على المدة فكان ما خص كل يوم تسع كراريس، وهذا ـ على قول ابن خلكان ـ شي عظيم لا يكاد يصدقه العقل.

ولكننا لا نستغرب ذلك إذا علمنا أن ابن الجوْزي عاش قرابة تسعين عاماً وهو عمر طويل يتسع لأعمال جليلة ولا سيما إذا عرفنا أن الجوْزي كان لا يضيع من زمانه شيئاً على حد قول «الموفق عبد اللطيف»، ولعل ما رواه عن ابن الجوزي أنه كان يكتب في اليوم أربع كراريس، أقرب إلى الصحة، وقد ذكروا أيضاً أن ابن الجوزي كان إذا رأى تصنيفاً وأعجبه صنف مثله في الحال وإن لم يكن قد تقدم له في ذلك الفن عمل، لقوة فهمه وحدة ذهنه.

وكان يرىٰ أن العمر شرف يجب أن يُصان من الضياع، قال ابن الجوزي:

« رأيت خلقاً كثيرين يَجْرون معي فيما اعتاده الناس من كثرة الزيارة، فلما رأيت الزمان أشرف شي كرهت ذلك، وبقيت معهم بين أمرين إن أنكرت عليهم وقعت وحشة، لمْوضع قطع المألوف، وإن تقبلته منهم ضاع الزمان، فصرت أدافع اللقاء جهدي فاذا غُلبت قصَّرت في الكلام لأتعجل الفراق، ثم أعددت أعمالاً لأوقات لقائهم لئلا يمضي الزمان فارغاً، فجعلت من المستعدِّ للقائهم قطع الكاغد، وبَرْيُ الأقلام، وحزم الدفاتر للقائهم فإن هذه الأشياء لا بد منها ولا تحتاج الى فكر وحضور قلب، فأرصدتها لأوْقات زيارتهم، لئلا يضيع شي من وقتي، نسأل الله أن يعرفنا شرف أوقات العمر ».

مؤلفاته :

ونذكر فيما يلي ما طبع من مؤلفات ابن الجوزي تاركين ما عداها لأن المقام لا يتسع لإيرادها جميعاً.

١ ـ أخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث: طبع مع كتاب مراتب المدلسين لابن حجر سنة ١٣٢٧ هـ، وطبع ٣٣٧ هـ في بومباي أيضاً .

٢ ـ أخبار الحمقى والمغفلين: ١٣٤٥ هـ. ١٣٥٧ هـ. بغداد ١٩٦٦ م بيروت « بلا تاريخ ».

٣ ـ أخبار الظُّرَّاف والمتماجنين: دمشق ١٣٤٧ هـ .

٤ ـ أخبار النساء: طبع مراراً، وينسب الى ابن قيّم الجوزية.

٥ ـ الأذكياء مصر ١٣٠٤ هـ. ١٣٠٦ بيروت ١٩٦٦ م .

٦ ـ بستان الواعظين، ورياض السامعين: القاهرة ١٩٣٤ هـ ـ ١٩٦٣ م.

٧ ـ تاريخ عمر بن الخطاب: القاهرة ١٩٢٩م.

٨ ـ تقويم اللسان: القاهرة ١٩٦٦م.

٩ ـ تلبيس إبليس: الهند ١٣٢٣هـ، القاهرة ١٩٤٠ هـ. ١٣٤٧، ١٣٦٨ هـ.

١٠ ـ تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار: طبعت قطعة منه في ليدن سنة ١٨٩٢.

١١ ـ تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث القاهرة ١٣٢٤.

١٢ ـ تنبيه النائم الغَمْر على حفظ مواسم العمْر: مطبعة الجوائب ١٨٥٥م.

١٣ ـ الحسن البصري ـ سيرته وآدابه ـ مصر ١٣٥٠ هـ.

١٤ ـ دفع شبهة التشبيه والرد على المجسِمّة: مطبعة الترقي ١٣٤٥ هـ.

١٥ ـ ذم الهوى مصر ١٩٦٢ م.

١٦ ـ الذهب المسبوك في سير الملوك بيروت ١٨٥٥ م.

١٧ ـ روْح الأرواح مصر ١٣٠٩ هـ.

١٨ ـ رؤوس القوارير في الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير مصر ١٣٣٢ هـ.

١٩ ـ زاد المسير في علم التفسير: دمشق (لما ينته طبعه)

٢٠ ـ سيرة عمر بن عبد العزيز مصر ١٣٣١ هـ.

٢١ ـ صفة الصفوة: حيدر آباد ١٣٥٥ ـ ١٣٥٧ هـ.

٢٢ ـ صيد الخاطر: : دمشق ١٩٦٠ م، القاهرة ١٩٦١ م.

٢٣ ـ الطب الروحاني: دمشق ١٣٤٧ هـ.

٢٤ ـ عجيب الخطب طهران ١٢٧٤ هـ.

٢٥ ـ لَفتْة الكبد إلى نصيحة الولد: مطبعة المنار ١٩٣١ م.

٢٦ ـ المدهش: بغداد ١٣٤٨ هـ.

٢٧ ـ ملتقط الحكايات: طبع بهامش مختصر روْنق المجالس للشيخ عثمان الميري، القاهرة ١٣٠٩ هـ.

٢٨ ـ مناقب أحمد بن حنبل: القاهرة ١٩٤٩م.

٢٩ ـ مناقب بغداد: بغداد ١٣٤٢ هـ.

٣٠ ـ مناقب عمر بن عبد العزيز: برلين ١٩٠٠، القاهرة ١٣٣١ هـ.

٣١ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والامم طبع منه ستة أجزاء في حيدر آباد سنة ١٣٥٧ هـ.

٣٢ ـ مولد النبي ﷺ: طبع مراراً.

٣٣ ـ الوفا في فضائل المصطفى باعتناء بروكلمان.

٣٤ ـ الياقوتة طُبع مع كتاب روْنق المجالس لعثمان الميري ١٣٠٩ هـ.

وفاته:

وتوفي ابن الجوزي ليلة الجمعة الثاني عشر من شهر رمضان بين العشاءين سنة سبع وتسعين وخمسمائة. « تموز ١٢٠١ م » بعد أن مرض خمسة أيام، ودفن من الغد في باب الحرب، وأجمع من ترجموا له على أن يوم وفاته كان يوماً مشهوداً في بغداد، فقد ازدحم الناس لتشييعه الى مثواه الأخير، وغُلِّقت الأسواق وأفطر بعضهم لشدة الزحام والحر، ولم يصل إلى حفرته عند قبر الامام أحمد بن حنبل إلا وقت صلاة الجمعة، وحزن الناس عليه كثيراً حتى قيل: لم يخلف بعده مثله.

أقوال العلماء فيه :

١ ـ قال ابن خلكان : كان علاّمة عصره وإمام وقته في الحديث، وصناعة الوعظ، صنف في فنون كثيرة منها « زاد المسير في علم التفسير »، وله في الحديث تصانيف كثيرة، وله المنتظم في التاريخ . . . وبالجملة كتبه أكثر من أن تعد

٢ ـ وقال الذهبي :

ما علمت أن أحداً من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل .

٣ ـ وقال ابن تيمية .

« عددت له أكثر من ألف مصنف ورأيت بعد ذلك ما لم أره» .

٤ ـ وقال ابن كثير في « البداية » .

أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة وانفرد بها عن غيره، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنف وكتب بيده نحواً من مائتي مجلد » .

وله في العلوم كلها اليد الطولىٰ ، والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير، والحديث، والتاريخ ، والحساب، والنجوم ، والطب، والفقه، وغير ذلك من اللغة والنحو » .

ولم يزل يكتب ويؤرخ حتى صار هو تاريخاً .

ما زلت تدأب في التاريخ مجتهداً حتى رأيتك في التاريخ مكتوبا

كتب

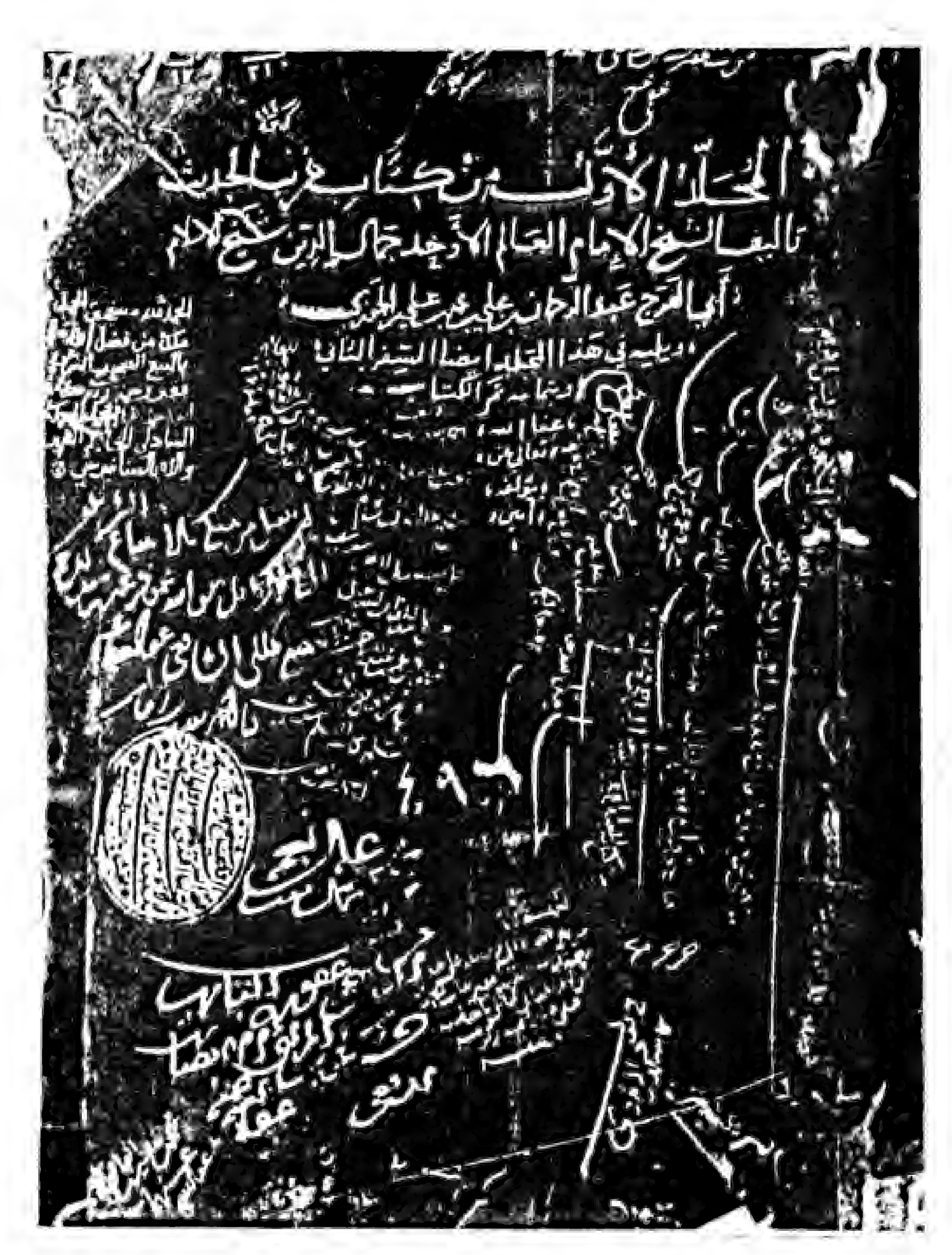
الدّكتورْ عَبْد المُعطِي أمين قلعَجي

القاهرة ٢٦ محرم ١٤٠٥

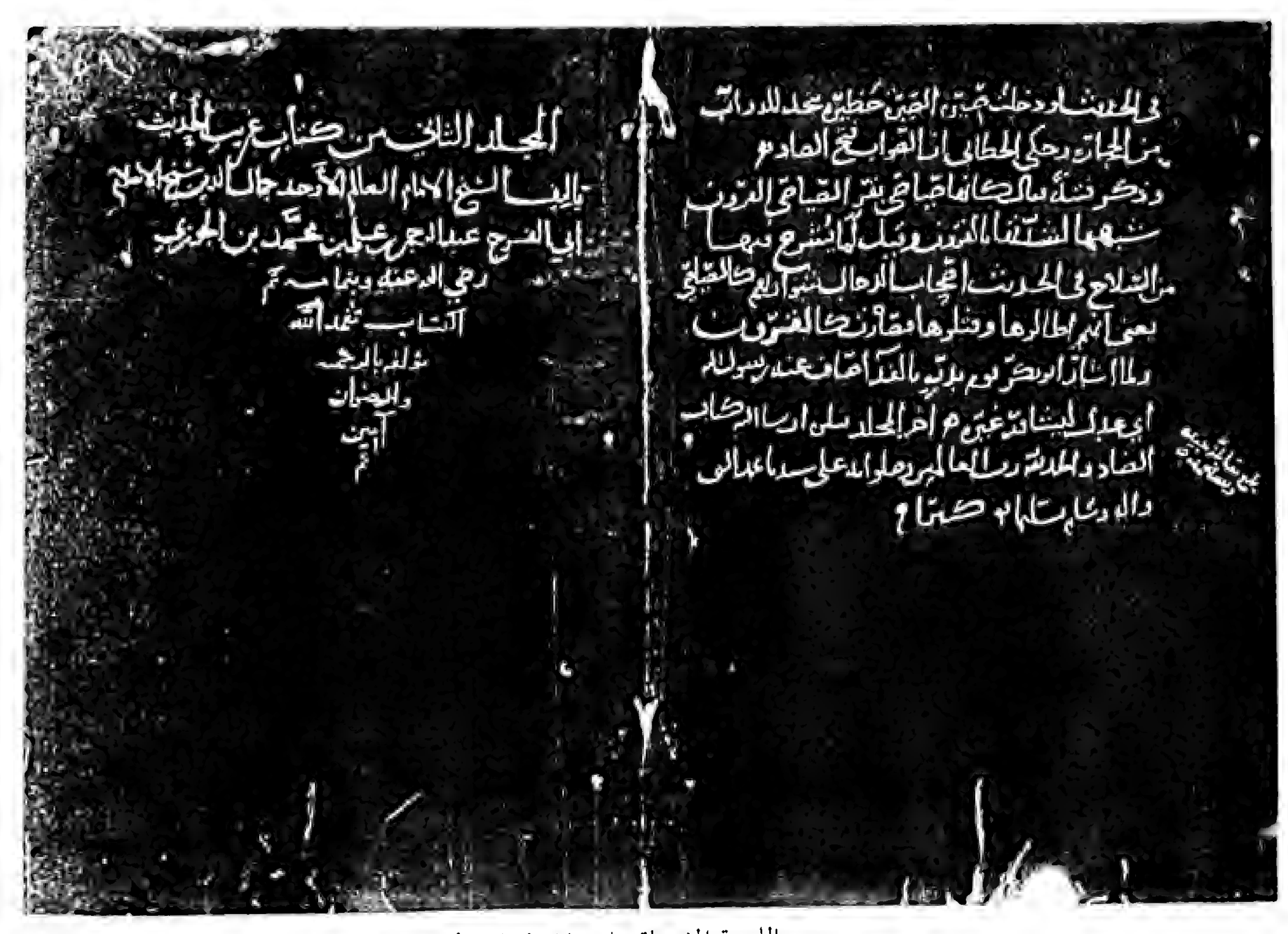
المصادف ٢٠ تشرين الأول ١٩٨٤



اللوحة الأولى في نسخة (ف)


المجلد الأول من كتاب غريب الحديث
تأليف الشيخ الإمام العالم الأوحد جمال الدين شيخ الإسلام
أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الجوزي
ويليه في هذا المجلد أيضا السفر الثاني
وبتمامه تم الكتاب

روسم عنوان الكتاب في نسخة (ف)


المجلد الثاني من كتاب غريب الحديث
تأليف الشيخ الإمام العالم الأوحد جمال الدين شيخ الإسلام
أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي
رضي الله عنه

روسم اللوحة المشتملة على نهاية المجلد الأول
وبداية المجلد الثاني في نسخة (ف)

لبيك إن ابليتنا لدعا نسعى بين خلف نبات جمع اليمن

أيمانا بجمع إيمانا أن ليمنك نظير لغيرك وقوله الإيمان يمان

ذكر أبو عبيد في معناه قولين أحدهما أن الإيمان إنما بدأ من مكة

لأنها مولد رسول الله ومبعثه ثم هاجر إلى المدينة [illegible]

مكة من أرض تهامة وتهامة من أرض اليمن ولهذا سمي

وما وليها من أرض اليمن التهائم فمكة على هذا يمانية

والثاني أنه قال هذا القول وهو بتبوك ومكة والمدينة

حينئذ بينه وبين اليمن [illegible] باب ـــ التاسع [illegible]

في حديث لا عدوى [illegible] لأنه مثل السعفة وهي حزازة حمراء

باب ـــ التاسع [illegible] العهد للحجاج

سير إلى العراق طويل اليوم [illegible] ذلك لمن حدث في العلم

باب ـــ التاسع إنما كانت تعود من

الأشهر [illegible] هذه الليلة [illegible] لأنه لا ينبغي لها إلا

ينبغي [illegible] وهما [illegible] آخر الكتاب

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وحسبنا الله

ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير

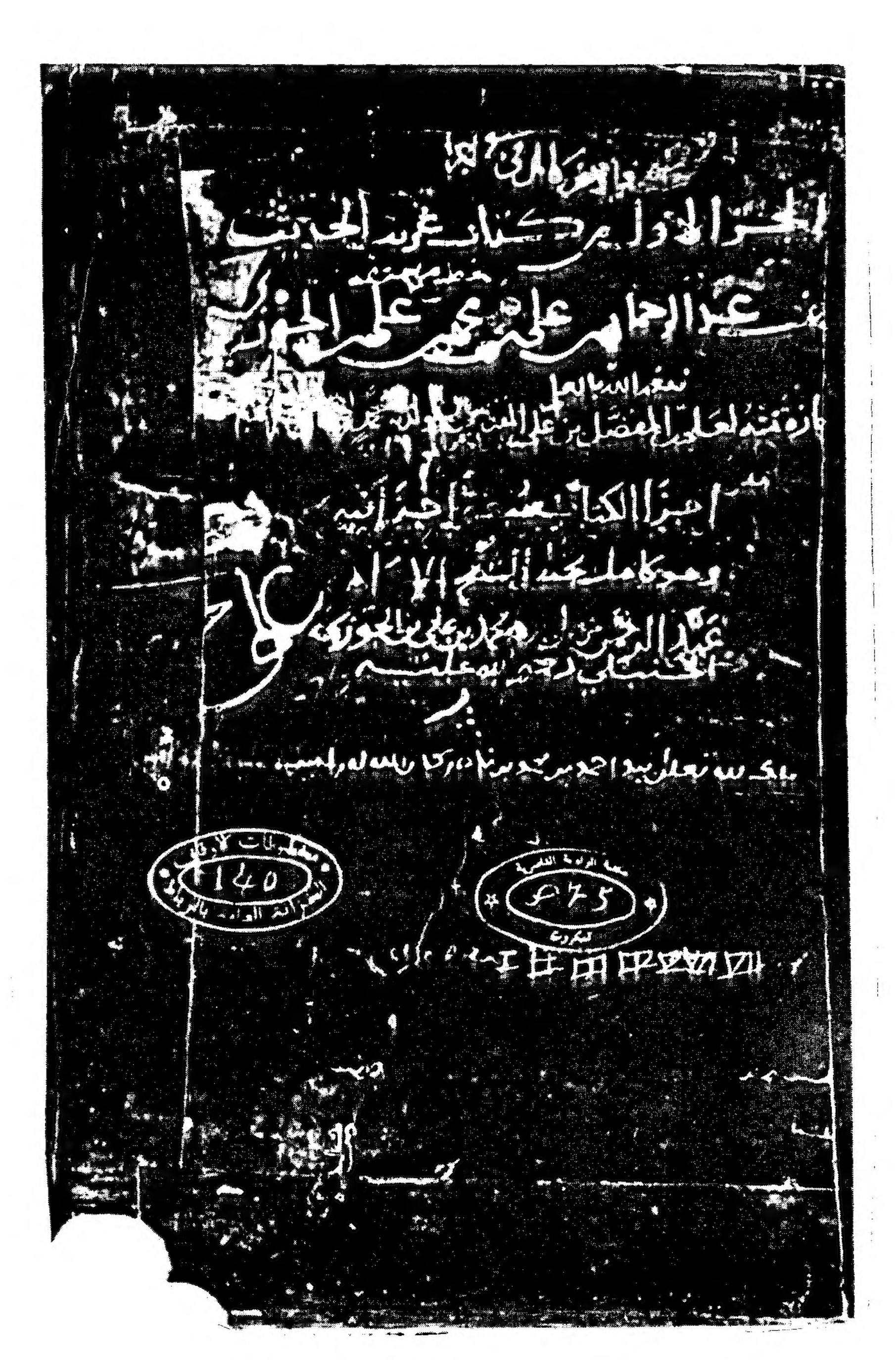
نقله محمد بن عبد السيد [illegible] من خط المصنف على النسخة [illegible]

عليها [illegible] والتي [illegible]

اللوحة الأخيرة في نسخة (ف)



روسم بداية النسخة (ط)


الجزء الأول من كتاب غريب الحديث

عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي

روسم اول الجزء الأول من نسخة (ط)

كتاب الألف

باب الألف مع البا

روسم اللوحة الأولىٰ من نسخة (ط) بخط ابن الجوزي

آخر الكتاب والحمد لله

روسم اللوحة الأخيرة من نسخة (ط)

المجلد الاول من كتاب غريب الحديث
تأليف الشيخ الإمام العالم الأوحد جمال
الدين شيخ الإسلام أبي الفرج عبد
الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي.